

الفصل الثاني

حياة الخلاء كعلاج لحل المشاكل

مشاكل الشباب :

يمر العالم اليوم بفترة حرجة من تاريخ البشرية ، فنحن نعيش فى عالم غير مستقر محفوف بالمخاطر يتهدهه الدمار والخراب بين آونة وأخرى . ولما كان لكل جيل من الأجيال مشاكله الخاصة فمما لا شك فيه أن هذا الجيل بالذات يواجه أدقّ المشاكل وأعقدها وأعتاها .

فالشباب اليوم فى هذا الخضم الرهيب تتجاذبه الأطماع وتتقاذفه الأهواء وتستهو به الإغراءات حتى ضلّ أوكاد يضلّ الطريق السوىّ المستقيم ، وهذا ولا شك يزيد من العبء اللقى على كاهل القادة ، ويضعهم أمام مسئوليات جسام نحو إعداد الشباب إعداداً تاماً سليماً وعلى أسس وقواعد راسخة حتى يمكنه أن يواجه فى شجاعة وفى إيمان وفى عزم كل ما قد يلوح فى أفق المستقبل من صعوبات ومشاكل .

١ - الانحراف

الانحرافات الخلقية والفكرية والاجتماعية والإنسانية أصبحت اليوم من الظواهر العامة التى تعمّ شباب العالم كافة فى جميع بقاع الأرض ، الأمر الذى أزعج كل مسئول وشغل تفكير كل رائد ، وأقضى مضجع كل أب ، ذلك لما لانحراف مثل هذا الشباب من تأثير عميق على المجتمع وبالتالي على البشرية . ولا شك أن السبب الرئيسى والدافع الأول لما أصاب وبصيب الشباب بهذه الآفة إنما يرجع إلى الحضارة المترفة التى يعيشها وإلى نعومة العيش التى يحياها ، فكل أمر أصبح ميسوراً مناله ، سهلاً أدأزه لا يتطلب من جهد المرء سوى ضغطة بإصبعه على زر حتى يتحقق له ما يريد .

نظرة إلى غالبية شباب اليوم توضح إلى أى مدى قد انحرف . فالمادية قد طغت على الروحانية ، والحيوانية قد طغت على الإنسانية ، فلم نعد نرى سوى أجساد ثائرة لا هم لها إلا إرضاء نزعاتها ورغباتها البهيمية ، ونفوساً متوترة مشدودة ضاقت بما يحيط بها فتعردت ، وتصرفات طائشة ماجنة يأبأها العقل والمنطق ، واعتناقاً لبيدائى ومعتقدات بمنأى عن القيم الخلقية .

وبنظرة أخرى إلى حياة الخلاء نجد أنها على النقيض من ذلك ، ففيها يضطر الفتى إلى الكد والعمل الشاق لكى يوفر لنفسه إقامة مريحة وطعاماً مستساغاً وقراشاً وثيراً قدر الاستطاعة .

ونجد أنها تعمل على تركيز مبادئ الأخلاق الفاضلة فى نفس الفتى حتى يتطبع بها وتصبح صفة من صفاته ونجد أنها تفرس فيه حب الفضيلة وتقوى الله بالانتمار بأوامره والانتهاه عن نواهيه .

ونجد أنها تمالج أزمة المعتقدات الضارة والفضوى التى تنجم عنها .

ونجد أنها تقوّم الانحرافات الخلقية وتهذب من السلوك الإنسانى .

ونجد أنها تربي فى الفرد قوة الإرادة والاعتماد على النفس والرجولة وتحمل المسئولية .

ونجد أنها تبنى شباباً قوياً صحيح البنية مفتول العضلات .

واختصار القول نجد أنها تعمل على إبعاده عن مظاهر الحضارة الزائفة ، وعن المدنية الترفة .

وأنها تخفف من ثورته النفسية ، وتلطف من ثورته الجسدية ، وتهدى من أعصابه المضطربة المتوترة وتقوى من شعوره الاجتماعى ، وتنمى من علاقاته الإنسانية ، وتزيد من حبه للخدمة العامة ، وتدفعه للحياة الإيجابية المتفاعلة مع البيئة المتعاونة مع المجتمع .

٢ - الفراغ

الفراغ مفسدة كبرى ، وهو أسُّ البلاء ومكمن الخطر وهو مفتاح الانزلاق إلى مهاوى الرذيلة .

الفراغ هو سلاح الشيطان الفتاك الذى يستطيع أن ينفذ منه إلى المرء فى يسر وسهولة .

الفراغ النفسى والفراغ الفكرى هما الداء الذى يصيب شباب اليوم بالجمود والشلل .

الفراغ يصيب الفتى بالاضطراب ويجعله يعيش حياة غير مستقرة لا يستشعر لها لذة ، حياة بلا طعم ولا لون ، حياة كالماء الآسن الراكد ، حياة جوفاء هامة لا حركة فيها ولا حياة .

الفراغ يصيب الفتى بالقلق ، وهو آفة خطيرة تحطم من معنوياته وتهدر من طاقاته ، وتعرقل من إنتاجه ، وتحد من حيويته ونشاطه .

الفراغ يتيح للنفس الضعيفة الخيال الجامح ، ويثير الشهوات المتوثبة ، ويمهد السبيل إلى الانحراف .

الفراغ من أكبر المشاكل بالنسبة للكبار فما بالك بالفتية والشباب وهم الذين يتمتعون بقدر أكبر على الحركة وتفيض أبدانهم بالحيوية المتدفقة ، وتتسم تصرفاتهم بالحمية والاندفاع .

إنه لمن المحزن حقاً أن نرى الشباب يدع الساعات تمر هباءً وبلا طائل وكأنها ليست من العمر ، أو كأنها ليست محسوبة عليه ، نرى ونلمس ذلك فى عصر للدقيقة فيه قدر وحساب .

إن الشباب إذا اتسع أمامه الوقت دون أن يجد فيه ما يشغله أو يؤديه ولم يتعلم كيف ينقذه ويقضيه أصبحت الحياة بالنسبة له ثقيلة مملة خالية من

المتعة والإثارة مما يجعله يصاب بحمى مزعجة من العريضة والاستهتار بالقيم الخلقية ، والاستهانة بكافة التقاليد والمثل .

إن ما نراه ونلمسه فى كثير من شباب اليوم من طيش ورعونة إنما هو ثورة على الملل القاتل الناجم عن الفراغ الذى لم يحسن استغلاله .

إنّ الوقت هو أئمن ممتلكات الإنسان ، وهو الرصيد الوحيد الذى يتزايد باستمرار حيث يزيد كل يوم أربع وعشرون ساعة ، فلو أحسن استثمار هذا الرصيد وأجيد استغلاله لماد بالربح الوفير فى كافة مرافق الحياة .

وحياة الخلاء تعتبر من أحسن وسائل شغل أوقات الفراغ - فهى عمل دائم مستمر محبوب إلى النفس ، فيها يموج الشباب ويتحرك كخلية نحل ، كل يؤدى عملاً فلا تكاسل ولا تواكل . بل عمل مثمر مفيد فهى الحياة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، فهى تحقق الاستقرار النفسى والجسدى ، وتبعد الفتى عن الاضطرابات النفسية وتحفظ له بقواه البدنية وطاقاته البشرية ، وتكسبه الكثير من المهارات اليدوية ، وتدربه على حياة مستقيمة مستقرة سعيدة .

٣ - انعدام الثقة بالنفس

ثقة المرء بنفسه من أهم عوامل نجاحه فى الحياة وبدونها تضطرب تصرفاته وتتبلبل أفكاره .

وفائد الثقة بنفسه يتصف دائماً بالتردد ، فيقدم تارة ويحجم أخرى ، وعندما ينتوى أداء أمر فيشرع فى تنفيذه ثم ينكص على عقبيه سريعاً ، لا رأى له ، ينصاع لآراء الآخرين ولو تضاربت وتباينت ، وهو يتصف أيضاً بالجبن والخوف وهو آفة شباب العصر ، فهو يخاف من كل شىء ، فهو يهاب الغير ويهرب المجتمع ويهرب من الواقع ويخاف من الفشل ويخشى المستقبل حتى إنّه ليخاف من نفسه أحياناً .

وليس هناك ما يشلّ النشاط ويعطل التفكير السليم ويقضى على الطموح
ويطيح بالكفاءات مثل الخوف .

مثل هذا الشخص يتصرف تصرفات غريبة شاذة ، ويتهرب دوماً من
المسئولية ، وينظر إلى الحياة بمنظار أسود فهو متشائم ، والتشاؤم وحده كافٍ
لتعطيل الإرادة ، وتجميد الطاقة وبليلة التفكير ، وهو الباعث على اليأس . وهو
المعكر للصفو ، النغص للعيش .

وحياة الخلاء تحارب الخوف فى نفس الفتى وتقضى عليه ، وتغرس بذور
الثقة بالنفس لتنمو وتقوى وتشتد ، فهى تضع الفتى أمام الأمر الواقع ليواجهه
فى شجاعة وليتصرف حياله بما يراه ، وهى تدفعه إلى المخاطر ليتهاهاها
وتعرضه للمتاعب ليزالها ويتغلب عليها وتلقى به فى المشاكل ليتدرب على
حلها ، وبهذا يصبح شجاعاً فى غير تهور ، قوياً فى غير تردد ، يعيش فى
إيجابية . متفاعلاً مع غيره متعاوناً مع مجتمعه وبيئته .

حياة الخلاء تشبع البهجة وتبعث على التفاؤل ، والتفاؤل هو طريق
السعادة ، وهو سبيل النجاح ، التفاؤل صنو الأمل ، بهما تنطلق الحياة فى
يسر . بهما تتحطم الصعاب وتنحسر المشاكل .

٤ - الاستهانة بالقيم

يولى الشباب اهتمامه إلى يومه الذى يعيشه وإلى اللحظة التى يحياها ،
لا يعنيه الغد وما يخفيه ، ولا يأبه للمستقبل وما يجب أن يعده له ، ولذا نجده
عابثاً بالقيم مستهيناً بالمثل ضارباً بالعرف والتقاليد عرض الحائط ، يعيش فى
سلبية ويحيا حياة اللامبالاة .

وهذا الاتجاه يشكل خطراً داهماً فهو يقود حتماً إلى الانحراف الخلقى وإلى
الحيوانية وبالتالي إلى الانهيار الكامل لبناء المجتمع فتنتفضى جذوة الحياة فيه
وتتلاشى الحيوية منه .

وحياة الخلاء هى أفضل وسيلة لقاومة تيار الاستهانة الجارف ، وموجة
اللامبالاة العاتية ، وإعصار الانحرافات المدمر ، فهى تعمل على تغذية روح

الجد في نفس الفتى ، وتدريبه على التطور والارتقاء وتلقنه معنى الحياة المفيد ، وتزوده بالخبرة في حياته وتحول استهتاره إلى عمل بناء ، وانحرفاته إلى خدمة نافعة ، حياة الخلاء تساعد الفتى على محاربة العادات السيئة وتعينه على التغلب على الانفعالات الضارة . وتعطيه من الطبيعة دروساً مباشرة وتنحوبه عن العزلة والسلبية وتدنيه من التفاعل والإيجابية وتجعل السعادة في متناول يديه ، والحياة بين أصابعه طيعة لينة .

الرحلة بالنسبة للأشبال

على القائد اختيار مكان الرحلة . وأن يتخير الموقع الخلوى الآمن البعيد عن الأخطار ، وبحيث يكون من الاتساع بالقدر الذى يسمح لتحركات وألعاب الأشبال . على أن يكون أساس برنامج هذه الرحلة « اللعب الجماعى » لتنمية روح الجماعة فيهم والابتعاد عن الفردية والأنانية هذا مع إجراء منافسات مستمرة بينهم .

وأهم واجبات القائد بالنسبة لمثل هذه الرحلات ما يأتى :

١ - توفير بعض الألعاب المسلية لهم والأدوات الخاصة بها .

٢ - اشتمال البرنامج على سرد بعض قصص البطولة .

٣ - إعداد وجبات خفيفة من الطعام لهم .

٤ - تكليف الأشبال بجمع بعض التذكارات الخاصة بالرحلة .

٥ - مراعاة اليقظة والانتباه الشديد والرقابة التامة للحفاظ على سلامة الأشبال .

٦ - العودة من الرحلة عند الغروب وألا تتأخر عن ذلك حتى لا يسبب التأخير عن ذلك قلق أولياء الأمور .

الرحلة بالنسبة للكشّافين

على القائد بالنسبة لمثل هذه الرحلة إعداد برنامج شامل مليء بالأنشطة المتعددة والألعاب والمسابقات .

وعليه توزيع الأعمال على الأفراد ليستشعر كل فرد منهم بمسئوليته عما يكلفه به وعلى كل فرد أى يكتب مذكراته ومشاهداته وملاحظاته عن الرحلة عقب عودته منها .

الرحلة بالنسبة للجوّالين

تختلف الرحلة بالنسبة للجوّال عن سابقتيها لأنه يميل بطبعه إلى حب الاستطلاع والاستكشاف والبحث والتنقيب فضلاً عن عشقه للمغامرة والمخاطرة ، وعلى القائد هنا إعطاء الفرصة لأعضاء الجوّالة لاختيار الرحلة وتحديد مكانها تاركاً لهم تنظيم الرحلة ووضع خط السير والبرنامج . على أن يقف هو مراقب فقط ولا يتدخل إلا حين يجد أن هناك ما يستوجب التدخل



وباختصار القول نستطيع أن نقول : إن حياة الخلاء تربي الشباب تربية إنسانية تركز على مفاهيم أصيلة وتستند إلى قيم أخلاقية عريقة ، وتساير التطور الحضارى لتحقيق التوازن النفسى ، وهى تعمل على مساعدته فى تنمية مواهبه وكفاءاته وطاقاته وتعطيه من الخبرة ما يكفل له التغلب على مشاكله ، وهى تهدف إلى بناء الشخصية الفردية وإلى التكامل الاجتماعى السليم .